الفصل الثانى

اذاعة حقائق عن الكتاب المقدس

١ ـ اسفار الشريعة الخمسة
(التـــوراة)

[تؤلف الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس مجموعة كـان اليهود يسمونها الشريعة او التوراة . وقد اتخـذت باليونانيـة اسـم بانتاتيكوس (أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة) ..

لقد كان اليهود ، اقله فى بـدء التاريخ المسيحى ، يسندون الى موسى تاليف هذه المجموعة الواسعة ، وقد جاراهم المسيح ورسله فى هـذا الاصطـلاح ..

ما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتـب كل البانتاتيك منذ قصة الخلق الى قصة موته . كما أنه لا يكفى أن يقال ان موسى اشرف على وضع النص الملهم الذى دونه كتبة عديدون فى غضون اربعين سنة] .

*

٢ ـ سفر التكوين

[لسنا هنا فى صدد تاريخ مكتوب على وثائق كتاريخ داود مثلا . فغالبا ما رويت هذه القصص شفهيا قبل أن تثبت كتابة . وفى كل هـذا حفظ جوهر الوقائع التاريخية بأمانة ، لكن ما جاء من حوار وتفاصيل مؤثرة بغية اعادة الحياة الى مشهد تاريخى فهذا من نوع حرية التصرف التى توجبها الرواية الشفهية] .

ان هذا اعتراف صريح بمجهودات الكتبة الاسرائيليين فى تاليف هذا السفر بعد موسى بزمان !

*

٣ ـ سـفر الأحبـار

(اللاويين)

[دون سفر الأحبار بشكله الحاضر دون ريب ابتداء من العـودة من سبى بابل (الجيل الخامس قبل المسيح) ، كما يستدل من اوجـه الشبه العديدة مع (سفر) النبى حزقيال .

يتعذر اذن ان ينسب الى موسى نفسه نصه الأخير] .

من الفروض التاريخية المقبولة ان موسى خرج ببنى اسرائيـل من مصر نحـو عام ١٢٩٠ ق . م . ، وان ابتـداء العـودة من سـبى بابل كان حوالى عام ٥٣٧ ق . م . فمن ذلك يتبين أن سفر الأحبار هذا لم يأخذ شكله القانونى الأخير الا بعد مرور نحو ٧٥٠ عاما ، تعرض فيهـا لتغييرات من صنع البشر !

*

٤ ـ سفر تثنية الاشتراع

(التثنيـة)

هذا السفر من عمل مؤلف مجهول كتبه بعد عصر موسى ، ثم وضع الكلام على لسان موسى ، حتى يعطيه اهمية ويضمن خضوع الاسرائيليين لـه ! يقول المدخل لهذا السفر :

[**قد رأى مؤلف سفر تثنية الاشتراع** ، كى يحفظ ايمان معاصريه ، ويحذرهم من تأثير الكنعانيين المشئوم ، أن يعتمد على تقاليد قديمة ، وعلى سلطة موسى ، ليعطى رسالته الملهمة . فكان لا بد لمشاكل جديدة من تنظيمات جديدة .

لقد وضع الكلام على لسان موسى لأنه امتداد لشريعته ، لكنه مطبـق على الأيام الجديدة] .

*

٥ ـ سفر يشوع

[دخل يشوع على راس هذا الشعب ارض الميعاد ، امنيتهم القديمة ، واحتلها واسكن الأسباط داخل حدودهم الشرعية ..

ولا يمكن فى الواقع ان تشكل هذه الاقامة فى ارض كنعان فتحا سريعا وسهلا للبلاد بأسرها .

لكن المؤلف المقدس الذى نجهل اسمه وعصره ، كان يقصد دون شك ، ان يظهر هذا الفتح بمجمله كعمل عظيم يعود الفضل فيه الى العناية الالهية] .

*

٦ ـ سفر راعوث

[ان راعوث بطلة هذه الرواية ، داخلة فى اسلاف داود المجيدة ، وذلك بسبب ابنها عوبيد ابى يسى .

فما هو جوهر هذه القصة التاريخى ؟

من المحتمل ان يكون الكاتب قد استعان فى البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماما ، ثم اضاف اليها عددا من التفاصيل ، ليجعل الرواية اكثر حياة ، ويعطيها قيمة ادبية] .

نعم ... انها ـ بهذا الكلام ـ رواية وضعها مؤلف مجهول !

*

٧ ـ سفر اخبار الأيام

[قد يكون فى الأصل اطول مما هو عليه الآن ، بفضل اجزاء لم يحتفظ بها فى النص الحاضر .

نجد فى سفر الأخبار ذكر وثائق عديدة لم تحفظ ، **ونتحقق مرارا استعمال اسفار صموئيل والملوك . ويضيف اليها المؤلف تفاصيل عديدة ، استنادا الى مصادر اخرى ، ووفقا لمقصده الخاص] .**

بهذا يكون هذا السفر توليفة من بعض الأسفار والمصادر الأخرى ، لكن المثير هنا ، أن المؤلف كتبه ـ كبشر ـ وفق مقصده الخاص !

*

٨ ـ سفر طوبيـــا
(من الأسفار المنحولة أو المحذوفة من نسخة البروتستانت)

يعتبر هذا السفر قصة خيالية من عمل مؤلف مجهول ، فهي بذلك توليفة مجهولة المصدر . يقول التعريف بهذا السفر :

[**من المتعذر عمليا ان نضع تفاصيل هذه الحكاية فى نطاق تاريخى معروف** . وفى كل حال فالكاتب يقصد ان يعطينا امثولة تقوية ..

اين ومتى كتب هذا السفر ؟

لا يمكننا التفكير الا فى تاريخ قريب العهد ، قد يكون فى منتصف الجيل الرابع او فى الجيل الثالث . **واغلب الظن** ان كاتبه كان يعيش خارج فلسطين .

ويرجح ان الأصل كان فى اللغة الآرامية . ولا نملك نصا كاملا سوى النص اليونانى] .

لقد كان البروتستانت على حق فى حذفهم هذا السفر من نسختهم .

*

٩ ـ ســـفر يهوديت
(من الأسفار المحذوفة من نسخة البروتستانت)

[**ان سفر يهوديت مثل سفر طوبيا ، لا وجود له فى التوراة العبرية** .. ان المحاصرين (اليهود) نجوا بفضل بطلة اسمها يهوديت ، تظاهـرت بالهرب من بين شعبها ، ولما بلغت اليفانا (قائد جيوش نبوكدنصر ملك اشور) **أغرته وسقته حتى اسكرته ، ثم قطعت راسه .. هذا السفر هو حديث التاليف ، اما صفته التاريخية فاثباتها صعب جدا . والصعوبة هنـا هى اكبر منها فى سفر طوبيا .**

ان اسم البطلة يهوديت يوحى باننا ازاء شخصية رمزية . واغلب الظن ان الرواية هى نوع من الرؤيا .

ان عمل يهوديت هذا لا ينسجم مع اخلاقنا المسيحية الرقيقة ، وقد ننفر منه على صواب لو راينا فيه عملا واقعيا] .

واذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يبقى سفرا مقدسا عند الكاثوليك ومن جاراهم فى ذلك ؟ !

*

١٠ ـ سفر ايـــوب

[ان كاتب هذا السفر ياتى بعد ارميا ، وقد استلهمه ، وبعد حزقيال ، وهو سابق دون شك للعهد الاغريقى .

واغلب الظن انه من ابناء الجيل الخامس] .

نحن ـ مرة اخرى ـ امام سفر مجهول المصدر والهوية !

*

١١ ـ سفر المزامير

يعترف المدخل الى هذا السفر بتشويه المترجمين للأصل العبرانى ، كما يشكك فى حقيقة المزامير التى تنسب الى داود ، فهو يقول :

[انه من المفيد بنوع خاص ، لدرس المزامير ، ان نعود الى الأصـل العبرانى ، لأن بعض المترجمين غير الماهرين ، فى صراعهم مع مهمـة شاقة ، قد شوهوا المجموعة الاسرائيلية القديمة عندما نقلوها عن نص المزامير السبعينى .

لا مجال لنفى التقليد الذى يجعل من داود الملك صاحب المزامـير بالأفضلية ، وبادىء هذا النوع من التاليف ، وان لم يكن بوسعنا ان نحدد اكثر من ذلك دوره فى تاليفها] .

*

١٢ ـ سفر الأمثـال

[يستحيل تحديد اصل هذه المجموعات ، حتى المسندة الى سليمان . ان عددا كبيرا من هذه الأمثال لا صفة دينية لها البتة] .

ولماذا يبقى ـ اذن ـ كسفر مقدس ؟ !

*

١٣ ـ سفر الجامعة

[ان سفر الجامعة لهو فى الحقيقة اشد اسفار الكتاب المقدس غموضا واجدرها فى تضليل القارىء السطحى . يبتدىء الغموض بشخص المؤلف نفسه الذى يدعى فى الفصل الأول انه ابن لداود ملك أورشليم . فيبدو لنا وكأن له كل حكمة سليمان وغناه المضروب بهما المثل . وكان يجب الا تغش هذه التسمية الوهمية أحدا لأن المؤلف يتكنى فى ذات الوقت باسم آخر هو الجامعة .

وفى نهاية السفر خلاصة كتبتها يد ثانية تضعه بين الحكماء .

هل يكون السفر مجرد عبارة متحسسة لفكر متشائم ، هذا ان لم يكن، كما اعتقد الكثيرون ، خليطا من تآليف مختلفة الأصل ؟

يبدو انه استوحى مواضيع من اصل اغريقى ، مما يحمل على الاعتقاد بانه كتب حوالى السنة ١٨٠ ق . م] .

ولماذا يبقى ـ هو الآخر ـ كسفر مقدس ؟ !

*

١٤ ـ نشيد الأناشيد

[كان انبياء اسرائيل ، كهوشع وارميا وحزقيال ، قد شبهوا علاقات الشعب المختار مع الهه بعلاقات الزوجة بزوجها !

ومما لا ريب فيه ان دخول نشيد الأناشيد فى الأسفار المقدسة انما هو تجاوب مع هذه الصفات .

اما النصرانية ، وريثة اسفار العهد العتيق ، فقد اعتنقت هذا التقليد الى حد بعيد ، **واصبحت الكنيسة عروس النشيد .**

الا انه منذ القديم فكر بعضهم ـ مع تودوروس الموبسيوستى ـ **بأن النشيد ، فى الأصل اقله ، هو قصيدة ذات معنى علمانى ، قد نظمت لتنشد مثلا فى الأعراس .**

وهذا التفسير يؤيده الكثيرون من الشراح العصريين ويمكن اعتناقه دون ان نضر بالمعنى الدينى الذى سمح بدخول وبقاء النشيد فى الكتاب المقدس ٠

[لا يقرأ نشيد الأناشيد الا القليل من المؤمنين لأنه لا يلائمهم] ٠

من حق الكثرة ، بل ومن حق الجميع ألا يقرأوا نشيد الأناشيد ، فلا مكان له خارج نطاق نوعيات معينة من الأعراس ٠ انه يتغزل فى جسد المرأة ، ويصف لوعة الحب ويقول :

« فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى ، طلبته فما وجدته ٠ انى اقوم واطوف فى المدينة ٠٠ حتى وجدت من تحبه نفسى فامسكته ولم ارخه حتى ادخلته بيت امى وحجرة من حبلت بى ٠٠

قد خلعت ثوبى ، فكيف البسه ٠٠ حبيبى مد يده من الكوة ، فانت عليه احشائى ٠٠

ما اجمل رجليك بالنعلين ٠٠ دوائر فخذيك مثل الحلى ٠٠ سرتك كاس مدورة ـ لا يعوزها شراب ممزوج ٠

بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ٠

ثدياك كخشفتين توامى ظبية ٠ ٠

قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد ٠

قلت انى اصعد الى النخلة ، وامسك بعذوقها ٠ وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ٠٠ وحنكك كاجود الخمر لحبيبى السائغة ، المرقرقة ، السائحة على شفاه النائمين ٠

انا لحبيبى ، والى اشتياقه ٠ تعال ياحبيبى لنخرج الى الحقل ، ولنبت فى القرى ٠٠ هناك اعطيك حبى » ٠

*

١٥ ـ سفر الحكمة

(من الأسفار المحذوفة من نسخة البروتستانت)

هذا سفر نسبه المؤلف ـ زورا ـ الى سليمان الحكيم ، وهو سفر مجهول المصدر والهوية ٠ يقول التعريف بهذا السفر :

[ان كاتب الحكمة .. قد قرأ الكتاب المقدس ، وذكر منه نصوصا فى اليونانية حسب الترجمة السبعينية . **ولهذا السبب فانتحاله شخص سليمان وتوجيههالكلام بهذه الصفة الى الملوك ، هو نوع من الصورة الوهمية المقبولة آنذاك الى حد بعيد .**

ان هوية المؤلف مجهولة ، انما الدلائل المتراكمة تشير الى أن وطنه كان مصر ، ومن المحتمل أن يكون الاسكندرية] .

*

١٦ ـ سفر اشعيا

يعتبر هذا السفر كتابا بداه النبى اشعيا ، ثم اكمله مؤلفون آخرون لم تعرف شخصياتهم ، فبقى يحمل اسم اشعيا فقط .

يقول التعريف بهذا السفر :

[**فى الواقع ان عددا متزايدا من الشراح الكاثوليك يعتبرون اليوم ان عمل اشعيا قد تابعه انبياء آخرون لهم ما له من الأهمية ، لكنهم لم يخلفوا لنا اسماءهم**] .

*

١٧ ـ سفر ارميا

[جمعت اقوال ارميا النبوية بعد موته . **لقد الف النبى قسما منه مباشرة** ، فكان يملى على باروك ، كاتم سره الأمين .

ويذكر باروك انه اضاف كثيرا من الأقوال المماثلة (٣٦ : ٣٢) .

اما ما جاء عن سيرة حياة ارميا فى الغائب ، فمصدره طبعا ذكريات التلاميذ . ثم جمعت كل هذه العناصر فى السفر تبعا لنظام منطقى بعض الشىء] .

*

١٨ ـ نبوءة دانيال

[**ليس دانيال مؤلف السفر الذى يحمل اسمه ، ان هو الا شخصه الرئيسى .. ان مؤلفا ملهما لم يترك لنا اسمه قد ضم الى هذه الصورة**

الشهيرة عن الماضى عدة رؤى ذات انشاء روائى . لقد كتب السفر فى ثلاث لغات : العبرية والآرامية واليونانية .

وهذا يعنى ان المؤلف ادخل فى السفر عدة تقاليد سابقة . ويظهر ان السفر فى صيغته النهائية قد اكتمل اثناء اضطهاد انطيوخس ابيفان ، وقبل انتصار المكابيين فى الجيل الثانى قبل المسيح . وكان هدفه المباشر توطيد ايمان اليهود المضطهدين وتقوية رجائهم] .

*

نكتفى ـ الآن ـ بهذا القدر من التعريف بأسفار العهد العتيق (القديم) ، كما جاء فى طبعة الكاثوليك . ويمكن تلخيص الخواص المشتركة بين هذه الأسفار بانها : كتب مؤلفة ، اغلبها مجهول المصدر والهوية . وقد توارثتها المسيحية هكذا ، مع تحفظها الصريح على وجود بعضها بين دفتى الكتاب المقدس ، لما فيها من تعارض مع الأخلاق المسيحية ، حسبما تقول .

* * *

العهـــد الجديد

يقول : **المدخل الى العهد الجديد** ، فى ترجمة العهـد الجـديد الكاثوليك(١) :

[يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفرا مختلفة الحجم ، وضعت كلها باليونانية • ولم تجر العادة ان يطلق على هذه المجموعة عبارة : العهد الجديد ، الا فى اواخر القرن الثانى •

فقد نالت الكتابات التى تؤلفه رويدا رويدا منزلة رفيعة حتى اصبح لها من الشأن فى استعمالها ما لنصوص العهد القديم التى عدها المسيحيون زمنا طويلا كتابهم المقدس الأوحد ، وسموها الشريعة والأنبياء وفقا للاصطلاح اليهودى فى تلك الأيام •

ان تاليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمها فى مجموعة واحدة اديا الى تطوير طويل معقد • (وفضلا عن ذلك فان تناقل هذه المؤلفات منذ القديم حتى عهدنا هذا قد انطوى على بعض المخاطر التى لم تترك النص دون تغييرات] (٢) •

* *

قانون العهد الجديد :

لقد سيطرت على المسيحيين الأوائل فكرة ، تناقلتها الألسن شفاها ـ تعلن انتهاء هذا العالم سريعا ، وعودة المسيح ثانية الى الأرض ليدين الناس • وكان من بين نتائج هذا المعتقد ان توقف التفكير فى تاليف كتابات

---

(١) المرجع رقم ٤ فى قائمة تراجم الكتاب المقدس . ص ١ ــ ٥ .

(٢) « La rédaction de ces vingt - sept livres et leur regroupement au sein d'un recueil unique donnèrent lieu à un processus long et complexe. La transmission de ces ouvrages, depuis l'antiquité jusqu' à nos jours , comportait, par ailleurs, un certain nombre d'aléas qui n'ont pas laissé le texte sans altérations » .

أغفل مترجمو هذا المدخل الى العربية فقرة هامة ، وقد ترجمتهـا بـين قوسـين •

مسيحية تسجل اخبار المسيح وتعاليمه . فتاخر لذلك تاليف الاناجيل ، اذ لم يشرع فى تاليف اقدمها ـ وهو انجيل مرقس الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح ـ الا بعد بضع عشرات من السنين .

لقد كانوا يؤمنون بنهاية العالم وعودة المسيح سريعا الى الأرض :

ـ قبل ان يكمل رسله التبشير فى مدن اسرائيل ، وهى عملية لا تستغرق اكثر من عدة اشهر ، أو بضع سنين على اكثر تقدير :

« هؤلاء الاثنا عشر ارسلهم يسوع واوصاهم قائلا : الى طريق امم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . **بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة ..**

الحق اقول لكم : لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان (المسيح) ـ متى ١٠ : ٥ ـ ٢٣ » .

ـ وقبل ان يموت عدد من الذين وقفوا امامه يستمعون الى تعاليمه ومواعظه . وهى فترة يمكن تقديرها دون خطأ يذكر فى حدود خمسين عاما على اقصى تقدير :

« ان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد ابيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله .

الحق اقول لكم : ان من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته ـ متى ١٦ : ٢٧ ـ ٢٨ » .

ـ وهو يعود ثانية الى الأرض قبل ان يفنى ذلك الجيل الذى عاصر المسيح ، وهى فترة لا تتجاوز اقصى ما قدرناه ، اى خمسين عاما :

« وفيما هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : **قل لنا متى يكون هذا ، وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ . .**

فاجاب يسوع وقال لهم :

بعد ضيق تلك الأيام : تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، **ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ..**

الحق اقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله ـ متى ٢٤ : ٣ ـ ٢٤ » .

ومعلوم ان ذلك كله لم يحدث ، اذ لا يزال الكون قائما ، وبنو آدم يعيشون فى عالمهم الدنيوى حتى يأتى أمر الله .

هذا ـ ولما بردت الحمية التى اثارتها فكرة عودة المسيح سريعا الى الأرض ، ظهرت الحاجة ماسة الى تدوين الذكريات عنه وعن تعاليمه . ومن هنا كانت النواة لتاليف اسفار ـ ما صار يعرف فيما بعد باسم ـ العهد الجديد ، وهى الأسفار التى لم يعترف بشرعيتها الا على مراحل ، وعلى امتداد اكثر من ثلاثة قرون .

*

يقول : **المدخل الى العهد الجديد** ، فى التعريف بقانونية العهد الجديد (٣) :

[ان كلمة قانون اليونانية ، مثل كلمة قاعدة العربية ، قابلة لمعنى مجازى يراد به قاعدة للسلوك او قاعدة للايمان .

وقد استعملت هنا للدلالة على جدول رسمى للأسفار التى تعدها الكنيسة ملزمة للحياة وللايمان .

ولم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى فى الأدب المسيحى الا منذ القرن الرابع . كانت السلطة العليا فى امور الدين تتمثل عند مسيحيى الجيل الأول فى مرجعين :

اولهما العقد القديم ، وكان الكتبة المسيحيون الاولون يستشهدون بجميع اجزائه على وجه التقريب استشهادهم بوحى الله . واما المرجع الآخر الذى نما نموا سريعا ، فقد اجمعوا على تسميته : الرب .

لكن العهد القديم كان يتالف وحده من نصوص مكتوبة . واما اقوال الرب وما كان يبشر به الرسل ، فقد تناقلتها السنة الحفاظ مدة طويلة . ولم يشعر المسيحيون الأولون الا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين اهم ما علمه الرسل ، وتولى حفظ ما كتبوه ..

---

(٣) المرجع السابق .

ويبدو ان المسيحيين ، حتى ما يقرب من السنة ١٥٠ ، تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر الا قليلا جدا الى الشروع فى انشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة ، وأغلب الظن أنهم جمعوا فى بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها فى حياتهم الكنسية .

ولم تكن غايتهم قط ان يؤلفوا ملحقا بالكتاب المقدس ، بل كانوا يدعون الاحداث توجههم . فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة ، فى حين ان التقليد الانجيلى كان لا يزال فى معظمه متناقلا على السنة الحفاظ . . ولا يظهر شان الأناجيل طوال هذه المدة ظهورا واضحا كما يظهر شان رسائل بولس .

أجل لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمح اليها ، ولكنه يكاد أن يكون من العسير فى كل مرة الجزم : هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدى هؤلاء الكتبة ، أم هل اكتفوا باستذكار اجزاء من التقليد الشفهى .

ومهما يكن من امر ، فليس هناك قبل السنة ١٤٠ اى شهادة تثبت ان الناس عرفوا مجموعة من النصوص الانجيلية المكتوبة ، ولا يذكر ان لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم(٤) . فلم يظهر الا فى النصف الثانى من القرن الثانى شهادات ازدادت وضوحا على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وان لها صفة ما يلزم ، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجى .

---

(٤) « Pendant toute cette période, la position des évangiles n'apparaît pas aussi clairement que celle des épîtres de Paul. Certes, les oeuvres des anciens auteurs chrétiens ne manquent pas de citations des évangiles ou d'allusions à ceux-ci, mais il est presque tcujours difficile de décider si les citations sont faites d'aprés des textes écrits que ces auteurs avaient sous les yeux ou s'ils se sont contentés d'évoquer de mémoire des fragments de la tradition orale.

Avant 140, il n'existe en tout cas aucun témoignage selon lequel on aurait connu une collection d'écrits évangéliques. Il attaché à l'un état non plus d'un quelconque caractére normatif attaché à lun de ces ouvrages » .

فيمكن القول ان الاناجيل الاربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ بمقام الادب القانونى ، وان لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين (٥) .

لم يوضح (لم يستقر) الجدول التام للمؤلفات العائدة الى القانون الا على نحو تدرجى ، وكلما تحقق شىء من الاتفاق(٦) . فهكذا يجدر بالذكر ما جرى بين السنة ١٥٠ والسنة ٢٠٠ ، اذ حدد على نحو تدرجى ان سفر اعمال الرسل مؤلف قانونى وقد حصل شىء من الاجماع على رسالة يوحنا الاولى .

ولكن ما زال هناك شىء من التردد فى بعض الامور : فالى جانب مؤلفات فيها من الوضوح الباطنى ما جعل الكنيسة تتقبلها تقبلها لما لا بد منه ، هناك عدد كبير من المؤلفات الحائرة يذكرها بعض الآباء ذكرهم لاسفار قانونية،فى حين أن غيرهم ينظر اليها نظرته الى مطالعة مفيدة(٧) ذلك شان : الرسالة الى العبرانيين ، ورسالة بطرس الثانية ، وكل من رسالة يعقوب ويهوذا .

وهناك ايضا مؤلفات جرت العادة ان يستشهد بها فى ذلك الوقت على انها من الكتاب المقدس ، ومن ثم جزء من القانون ، لم تبق زمنا على تلك الحال ، بل اخرجت آخر الامر من القانون(٨) . ذلك ما جرى لمؤلف : هرماس ، وعنوانه الراعى ، وللديداكى ، ورسالة اكليمنضس الاولى ، ورسالة برنابا ، ورؤيا بطرس .

---

(٥) « on peut considérer que les quatre évagiles ont, vers 170. acquis le statut de la littérature canonique, même si le mot n'a jamais été prononcé jusque - là » .

(٦) « La liste définitive des ouvrages appartenant au canon ne s'établira que progressivement, à mesure qu'un accord se réalisera à la faveur de la conscience grandissante de l'unité de l'Eglise » .

(٧) « on rencontre un nombre important d'ouvrages flottants, mentionnés comme canoniques par certains Pères mais retenus seulement comme lecture utile par d'autres.. » .

(٨) « Parallèment, des ouvrages qui sont à cette époque couramment cités comme Ecriture Sainte, et donc comme faisant partie du canon, ne se maintiendront pas longtemps dans cette situation et se verront finalement expulsés du canon » .

وكانت الرسالة الى العبرانيين(٩) ، والرؤيا ، موضوع اشد المنازعات . وقد انكرت صحة نسبتها الى الرسل انكارا شديدا مدة طويلة (١٠) .

ولم تقبل من جهة اخرى الا ببطء : رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ، ورسالة بطرس الثانية ، ورسالة يهوذا .

ولا حاجة الى أن نتتبع تتبعا مفصلا جميع مراحل هذا التطور الذى ادى خلال القرن الرابع الى تاليف قانون هو فى مجمله القانون بعينه الذى نعرفه اليوم] .

* *

ويقول : المدخل الى الأناجيل الازائية (المتشابهة) ، فى ترجمة العهد الجديد للكاثوليك(١١) :

[ان القارىء فى عصرنا ، وهو حريص على الدقة ولا ينفك يبحث عن الأحداث التى تم اثباتها والتحقق منها ، يقع فى حيرة امام تلك المؤلفات التى تبدو له مفككة ، يخلو تصميمها من التنسيق ، ويستحيل التغلب على تناقضاتها ، ولا يمكنها أن ترد على الأسئلة التى تطرح عليها .

قد جمع الانجيليون ودونوا ، وفقا لنظراتهم الخاصة ، ما اتاهم من التقاليد الشفوية](١٢) .

*

---

(٩) الرسالة الى العبرانيين هى السفر الوحيد من أسفار العهد الجديد الذى لا يعرف له مؤلف حتى اليوم . ولذلك تكتفى نسخة البروتستانت بجعل عنوانه هكذا : الرسالة الى العبرانيين .

(١٠) « Les cas les plus débattus furent ceux de l'épître aux Hébreux et de l'Apocalypse dont la canonicité fut vigoureusement niée pendant longtemps » .

(١١) المرجع السابق . ص ٢١ — ٣١ .

(١٢) « Les évangélistes ont ainsi recueilli et mis par écrit, selon leur perspective propre, ce qui leur était donné par les traditions orales » .

فهناك ـ مثلا ـ روايات مختلفة عن الحادث الواحد ، والذى قد يكون من أخطر الأحداث التى ترويها الأناجيل مثل : العشاء الأخير . وفى هذا يقول المدخل :

[لدينا أربع روايات (متى ، ومرقس ، ولوقا ، والرسالة الأولى الى أهل قورنتس) تعود عند التحقيق الى صيغتين : الصيغة التى يشهد عليها متى ومرقس من جهة ، والصيغة التى وردت فى لوقا وبولس من جهة أخرى .

والحال أن هاتين الصيغتين ، **وهما تختلفان فى عدة أمور** ، تبدوان كلاهما وكأنهما نصوص تنقل عبارات تقليدية ثبتها الاستعمال الطقسى .

ان مضمون الأناجيل لا يمكن ان يحقق كله تحقيقا تاريخيا] .

*

ومن الواضح الآن ان كتبة الأناجيل لهم الدور الأكبر فى هـذا الاختلاف :

[يجمع النقاد على بعض الأمور ، أولها أصل الأناجيل .

فهناك عاملان كان لهما تأثير فى حالة النصوص كما هى الآن هما : **عمل الجماعة التى كونت التقليد الشفهى والخطى ، وعمل الكاتب الذى** نسق مختلف التقاليد .

فهل من الممكن أن نفسر جميع الاختلافات بالرجوع الى نشاط الكاتب فى تحريره ، أم لا بد من اللجوء الى صلات قامت فى وقت سبق عهد الأناجيل الازائية ؟

ان معظم النقاد مقتنعون بمبدأ المصدرين . يقول أصحاب هذا الرأى ان لمتى ولوقا علاقة مباشرة بمرقس وبمصدر مشترك مستقل عن متى .

فلكل انجيل تقاليد خاصة به ، لكن مرقس وتلك الوثيقة هما المصدران الرئيسيان لمتى ولوقا] .

*

انجيـل متى :

[انطلق متى من مراجع يشترك فيها مع مرقس او مع لوقا ، ولكن روايته على ما فيها من الائتلاف على العموم ، تختلف كل الاختلاف عن رواية مرقس ، سواء بعدد المواد الخاصة به وسعتها (مثل ذلك : ١ ـ ٢ و ٥ ـ ٧ و ١/١١ ـ ٣٠ و ٣٦ ـ ٥٢ و ١٠/١١ ـ ٣٥ و ٩/٢٨ ـ ٢٠) ، ام بالحرية التى يستعمل بها المواد التى يشترك فيها مع مرقس (قـارن على سبيل المثال بين متى ١/٤ ـ ١١ ومرقس ١٢/١ ـ ١٣ ، وبين متى ٢٣/٨ ـ ٢٧ ومرقس ٣٥/٤ ـ ٤١ ، وبين متى ٩/٩ ـ ١٣ ومرقس ١٣/٢ ـ ١٧ ، وبين متى ١٣/١٤ ـ ٢١ ومرقس ٣٢/٦ ـ ٤٤ ، وبين متـى ١٣/١٦ ـ ٢٠ ومرقس ٢٧/٨ ـ ٣٠ ، وبين متى ١٨/٢١ ـ ١٩ ومرقس ١٢/١١ ـ ١٤ ، وبين متى ٣٣/٢١ ـ ٤٦ ومرقس ١/١٢ ـ ١٢ ، وبـين متى ١/٢٤ ـ ٣٦ ومرقس ١/١٣ ـ ٣٧) ، ام آخر الأمر بمجموع من المواد لا يستبعد انه اخذها عن مجموعة اقوال ليسوع استعملها لوقا (مثل ٧/٣ ـ ١٠ ، ١١/٧ ..) .

ومن العسير جدا ان نوضح الى اى قدر كانت قد وصلت تلك المراجع فى صياغتها فى مجموعات اوسع ..

متى مولع بالمجموعات العددية (مثل ذلك تفضيله للأرقام ٧ ، ٣ ، ٢) .. ويؤلف خطبا ، ليضفى عليها طابع الاستيعاب (مثل ١٧/١٠ ـ ٤٢ و ٣٥/١٣ ـ ٥٣ و ٢٥) .. والتلاميذ عند متى ليسوا بطيئى الفهم ، خلافا لما جاء فى مرقس .

ان الرسول متى هو الذى كتب الانجيل الأول ، وهذا ما يعتقده ايضاكثير من اهل عصرنا ، وان كان النقد الحديث اشد انتباها الى تعقـد المشكلة . الكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الانجيل الأول بين السنة ٨٠ والسنة ٩٠ وربما قبلها بقليل . ولا يمكن الوصول الى يقين تام فى هذا الأمـر .

اما المؤلف فالانجيل لا يذكر عنه شيئا . فلما كنا لا نعرف اسـم المؤلف معرفة دقيقة ، يحسن بنـا ان نكتفى ببعض الملامح المرسومة فى الانجيل نفسه] .

* *

انجيل مرقس(١٣) :

[منذ نحو السنة ١٥٠ اثبت بابياس ، مطران هيرابولس ، نسبة الانجيل الثانى لمرقس ـ لسان حال ـ بطرس فى رومة ٠

ويكاد ان يكون اجماع النقاد على ان الكتاب الف فى رومة بعد اضطهاد نيرون السنة ٦٤ ٠

اما صلة الكتاب بتعليم بطرس فهى امر عسير التحديد ٠ ان عبارة بابياس : لسان حال بطرس ـ غير واضحة ٠

ان مسالة مراجع مرقس تبقى هى هى بأسرها اذاً ٠ فالنقـــاد يتخيلونه على وجه يختلفون فيه على قدر ما يجعلون لمرقس من شـأن ، عندما يقارنونه بمتى ولوقا ٠ فيرى بعضهم انه الأصل الذى استندا اليه ، ويرى غيرهم ان هناك ، قبل مرقس ، مجملا اولا فيه تقليد على يسوع ٠ ومهما يكن من امر فانه يستشف من تاليف انجيل مرقس **ان هنـاك مرحلة سابقة للتقليد** كان الناس يتناقلون فيها اعمال يسوع واقواله بمعزل عن اى عرض شامل لحياته او لتعليمه ٠

وهناك سؤال لم يلق جوابا : كيف كانت خاتمة الكتاب ؟

من المسلم به على العموم أن الخاتمة كما هى الآن (١٦/٩ ـ ٢٠) قد اضيفت لتخفيف ما فى نهاية كتاب من توقف فجائى فى الآية ٨(١٤) ٠

ولكننا لن نعرف ابدا هل فقدت خاتمة الكتاب الأصلية ، ام هل راى مرقس ان الاشارة الى تقليد الترائيات فى الجليل فى الآية لا تكفى لاختتام روايتـه ٠

---

(١٣) المرجع السابق ، ص ١٥٣ ـــ ١٥٤ ٠

(١٤) « Autre question qui n'a pas reçu sa réponse : Comment le livre se terminait - il ?

Il est généralement admis que la finale actuelle 16, 9 - 20 a été ajoutée pour corriger l'abrupt d'un fin de lirre au v. 8 (cf. 16, 9 note O).

(Note. O : La tradition manuscrite est très incertaine pour cette finale de l'évangile (vv. 9 - 20). Elle n'est pas attestée par un certain nombre de témoins . Quelques copistes ont même précisé que le v. 8 marquait la fin de l'évangile..) » .

اهمية الكتاب : كتاب مرقس هو فى نظرنا اول نموذج معروف للفن الأدبى المسمى انجيلا • كثيرا ما فضلت عليه المجموعات اللاحقة والأوسع التى انشاها متى ولوقا •

ان النقاد تخلوا اليوم عن وضع سيرة ليسوع معتمدين على فقرات مرقس وحدها ، ومع ذلك ففى خشونته وعفويته ووفرة عباراته الساميـة **وطابعه البدائى فى التفكير اللاهوتى** ، دليـل على قدم المـواد التـى استعملها] •

* *

انجيل لوقـا(١٥) :

[انجيل لوقا هو الانجيل الوحيد الذى له فاتحة مثـل كثير من المؤلفات اليونانية فى تلك الأيام • وهذه الفاتحة موجهة الى رجل اسمه **ثاوفيلس يبدو انه امرؤ ذو شان** •

ولكتاب **اعمال الرسل** أيضا فاتحة موجهة الى ذلك الرجل نفسـه ، **فاستنتج منذ ايام الكنيسة القديمة ان للانجيل واعمال الرسل مؤلفا واحدا** •

عمل لوقا الأدبى : استعمل لوقا فى انجيله كثيرا من المواد المشتركة بينه وبين متى ومرقس ، ولكنه استعمل أيضا كثيرا من المواد التى انفرد بها •

وقد قام لوقا بجهد كبير فى معالجته للمواد التى تلقاها من التقليد •

بعض الشواهد على اصل الانجيل الثالث: ان النقاد كثيرا ما يعتمدون، فى تحديد زمن تاليف **هذا الكتاب** ، على المكان الذى يحتله لخراب اورشليم وعلى كيفية انفصال ذلك الحدث عن النظرة الأخروية التى يربطه بها متى ومرقس •

يبدو ان لوقا قد عاصر حصار المدينة وخرابها وعرف كيف قامـت بها جيوش طيطس سنة ٧٠ (راجع ١٩/٤٣ ـ ٤٤ ، ٢١/٢٠ ، ٢٤) ، فيكون الانجيل لاحقا لهذا التاريخ •

فالنقاد غالبا ما يحددون تاليفه بين السنة ٨٠ ، ٩٠ ، ومنهم من يجعلون له تاريخا أقدم •

---

(١٥) المرجع السابق • ص ٢٢١ ـ ٢٢٧ •

هناك تقليد يقول ان كاتب الانجيل الثالث هو لوقا الطبيب الـذى ذكره بولس (فى رسائله) . وقد وجد الكثيرون دليلا على مهنة كاتـب الانجيل الثالث الطبية فى دقة وصفه للأمراض ، **ولكن هذا الدليـل ليس قاطعـا** . فلا بد للبت فى هذا الموضوع من البحث فى شواهد كتاب اعمال الرسل] .

* *

انجيل يوحنـا(١٦) :

[ليس من اليسير ان نستخلص بكثير من التفصيل ذلك التصميم الذى رسمه المؤلف ، ان اكثر الأحداث هى واضحة المعـالم ، ولكننا لا نـرى بجلاء ما هى القواعد التى بموجبها رتبت تلك الأحداث .

وما يزيد الأمر حرجا هو ان هناك من يرون أن بعض الأقسام نقلـت من مكان الى آخر ، وان ذلك الراى سؤال ما يزال قائما .

فقد يبدو من المستحسن ان ننقل الفصل الخامس ، على سبيل المثال، الى ما بين ١٥/٧ ، ١٦/٧ ، ففى ذلك توحيد لترتيب المواد الجغرافى ..

اما نحن فنكتفى بان نرى فى الانجيل الرابع سلسلة احداث لم ترتب ترتيبا دقيقا .

علاقته بالأناجيل الازائية : اول ما يلفت انظارنا هـى الفـوارق الجغرافية والزمنية . فبينما **توحى الأناجيل الازائية بمدة طويلة فى الجليل** تليها مسيرة الى اليهودية ، قد يزيد طولها وينقص ، **وتنتهى باقامـة قصيرة فى اورشليم ، يروى يوحنا خلافا لذلك ..**

وهو يذكر عدة احتفالات بالفصح (١٣/٢ ، ١/٥ ، ٤/٦ ، ٥٥/١١) فيلمح الى رسالة تتجاوز مدتها السنتين .

البيئة الفكرية : ان تنوع الصلات التى اشار اليها العلمـاء لشديد جدا . فاول ما اعترفوا به هو **تاثير الثقافة اليونانية ، بل اكتشفوا بعض العلامات بالتيارات الغنوصية .**

---

(١٦) المرجع السابق . ص ٣٤١ — ٣٤٩ .

لا شك ان فى انجيل يوحنا وجوه شبه بالفكر اليونانى اكثر مما فى الاناجيل الازائية . فالاهتمام الظاهر بكل ما يمت بصلة الى المعرفة والحق ، **واستعمال لفظ لوغس** ، واستعمال التمثيل خاصة ، كل ذلك من شانه ان يوجه الدراسات التى تلك الجهة .

المؤلف : لا بد من الاضافة ان العمل يبدو مع كل ذلك ناقصا ، فبعض اللحمات غير محكمة ، وتبدو بعض الفقرات غير متصلة بسياق الكلام (١٣/٣ ـ ٢١ ، ٣١ ـ ٣٦ ، و ١٥/١) .

يجرى كل شىء وكان المؤلف لم يشعر قط بانه وصل الى النهاية وفى ذلك تعليل لما فى الفقرات من قلة ترتيب .

فمن الأرجح ان الانجيل ، كما هو بين ايدينا ، اصدره بعض تلاميذ المؤلف ، فاضافوا عليه الفصل ٢١ (الأخير) . **ولا شك انهم اضافوا ايضا بعض التعليق** (مثل ٢/٤ و ٤٤/٤ ، ٣٩/٧ ، ٢/١١ ، ٣٥/١٩) . **اما رواية المراة الزانية (٥٣/٧ ـ ١١/٨) فهناك اجماع على انها من مرجع مجهول ، فادخلت فى زمن لاحق .**

اما المؤلف وتاريخ وضع الانجيل الرابع ، فلسنا نجد فى المؤلف اى دليل واضح عليهما .

ليس لنا ان نستبعد استبعادا مطلقا **الافتراض** القائل بان يوحنا الرسول هو الذى انشاه . **ولكن معظم النقاد لا يتبنون هذا الاحتمال . فبعضهم يتركون تسمية المؤلف فيصفونه بانه مسيحى كتب باليونانية** فى أواخر القرن الأول فى كنيسة من كنائس آسية حيث كانت تتلاطم التيارات الفكرية بين العالم اليهودى والشرق الذى اعتنق الحضارة اليونانية .

وبعضهم يذكرون بيوحنا القديم (غير ابن زبدى أحد الاثنى عشر) الذى تكلم عليه بابياس (فى قوله) :لن اتردد ان اضع بين التفسيرات تلك الأمور التى تعلمتها تعليما حسنا جدا ذات يوم عن الأقدمين، فحفظتها حفظا حسنا جدا فى ذاكرتى ، بعد ان تحققت صحتها .. وان وصل احد كان من تابعة الأقدمين ، كنت استعلم منه عن اقوال الأقدمين : ما قاله اندراوس او بطرس او فيلبس او توما او يعقوب او يوحنا او متى، او غيرهم من تلاميذ الرب ، او ما يقوله ارستيون ويوحنا القديم ، تلميذان للرب . (اوسابيوس ، تاريخ الكنيسة : ٣ ، ٣/٣٩ ـ ٤) .

فكانوا اذن يميزون بين يوحنا الرسول واحد الاثنى عشر ، من يوحنا آخر ، القديم تلميذ الرب .

وبعضهم يضيفون ان المؤلف كان على اتصال بتقليد يرتبط بيوحنا الرسول . فلا عجب ان يكون ـ للتلميذ الذى أحبه يسوع ـ تلك المكانة السامية ، فوحد بينه وبين يوحنا بن زبدى .

ومن الغريب ان يوحنا هو الرسول الكبير الوحيد الذى لم يرد اسمه قط فى الانجيل الرابع] .

* *

اعمال الرسل(١٧) :

[من اراد ان يطالع مؤلفا قديما ، وجب عليه ان يثبت نصه . والحال ان اثبات نص اعمال الرسل مسالة معقدة .

الناحية الأدبية فى اعمال الرسل : لا شك ان واضع سفر اعمال الرسل قد استعمل بعض المراجع ، فالأدلة على ذلك كثيرة . ولكن هل كانت هذه المراجع مراجع مخطوطة ام شفهية ؟ لربما كانتا من كلا النوعين .

انه من العسير لسوء الحظ ان نعزل تلك المراجع ونحددها على وجه أكيد ،حتى فى أمر يوميات السفر التى تدل فيها صيغة (نحن) على وجود تلك المراجع ، من دون ان تمكننا من رسم حدودها بدقة .

واخيرا فاذا كان صاحب يوميات السفر ومؤلف سفر اعمال الرسل رجلا واحدا ، فقد كان له ، وهو رفيق بولس ، ذكريات خاصة به .

التاريخ : قد يكتشف هذا النقد ، هنا او هناك ، بعض آثار التنافر او التوتر فى الروايات ، ويبدو انها صادرة ، اما عن ارتياب او نقص فى ما لدى المؤلف من الأخبار ، واما عن قصد حمله على تحوير او تفسير الأخبار التى حصل عليها من المراجع .

---

(١٧) المرجع السابق . ص ٤٥٦ ــ ٤٦٤ .

ومعقولية الروايات تشكل مقياسا آخر ، ولكنه خطير الاستعمال ، لأن الاعتبارات التى يأخذ بها ليست كلها من النوع التاريخى . فاصعب المسائل هى مسالة الخوارق ولا سيما روايات المعجزات(١٨) .

أجل ، انه من الممكن ، لا بل من الأرجح ، حينا بعد آخر ، ان المؤلف او مراجعه قد بالغت فى هـذا الجانب من روايـة بعض الأحـداث . ولكن يجب على النقد الا ينسى أن المعجزات كانت ذات شان هـام فى المسيحية القديمة .

ان تاريخية الخطب فى سفر اعمال الرسل تطرح مسائل اشد تعقدا من الأقسام الروائية : فلا يخفى على احد أن المؤلفين القدماء كانوا يعدون امرا طبيعيا أن يؤلفوا ، بكثير او قليل من التصرف ، ما يجعلون من الخطب على السنة الأشخاص الذين يتكلمون عنهم .

هناك امور غير معقولة او وجوه شبه فى اللغة والتفكير بين الخطب والروايات ، تدل على تدخل المؤلف فى انشاء الخطب . لكن هـذه الملاحظـات لا تجيز لنا أن ننكر عليها كل قيمة وثائقية . والتقدير الصحيح لقيمتها التاريخية متوقف الى حد بعيد على الثقة المولاة لأخبار المؤلف ولا سيما ليوميات السفر .

المؤلف وتاريخ التاليف : ان مؤلف سفر اعمال الرسل هو مؤلف الانجيل الثالث . هذا امر اقتنع به التقليد طوال القرون . يضاف الى ذلك أن المقارنة بين فاتحتى الكتابين تقتضى هذه الوحدة . فالكتابان مرفوعـان الى ثاوفيلس .

---

(١٨) « Cette critique peut enregistrer, ici ou là, des discordances ou des tensions dans les récits, qui semblent bien correspondre soit à des incertitudes ou à des lacunes dans les informtions de l'auteur, soit à des intentions qui l'ont amené à modifier ou à interpréter les données que lui fournissaient les sources . La vraisemblance des récits constitue un autre critère, mais celui - ci est d'utilisation délicate, car les considérations qu'il met en jeu ne sont pas toutes d'ordre historique . Le cas le plus difficile est ici celui du merveilleux et en particulier des récits de miracle. » .

ولكن : من هو المؤلف ؟

ان وجود الأجزاء بصيغة (نحن) يوحى بأن المؤلف كان منتميا الى بيئة بولس . فيكون لوقا الطبيب الحبيب (قول ١٤/٤ ، ف ٢٤) المرشح الممكن الوحيد .

ولكن هناك امورا لا بد من النظر فيها . فالتوافق بين افكار سفر اعمال الرسل وافكار بولس فى رسائله يبقى ، على اقل تقدير ، غير اكيد فى شئون بعضها مهم . كمعنى الرسالة على سبيل المثال (١٣ / ٣١) ومكانة الشريعة .

ولكن هل يستنتج من ذلك انه لا يمكن ان يكون مؤلف الانجيل الثالث وسفر اعمال الرسل رفيقا لبولس ، وان اقتراح اسم لوقا مستبعد تماما ؟

اقل ما يقال ان هذا الأمر قابل للبحث .

ولما كان نقاد عصرنا يحددون تاريخ تاليف الانجيل الثالث فيما بعد السنة ٧٠ ، **فهم يحددون تاريخ تاليف اعمال الرسل فى نحو السنة ٨٠ ، فى وقت ينقص او يزيد عشر سنوات] .**

* *

وبعـــد . .

ان هذا العرض الموجز للتعريف باسفار الكتاب المقدس ، حسبما سطره الثقاة من علمائه ، لكفيل بان يعلم كل قارىء واع بحقيقة ما بين يديه .

* * *